

يصور بعض المؤرخين الحالة (وقد سقطت الدولة الأموية، تصويراً يخيل إليك معه؛ أن هناك حدوداً فاصلة بين الدولتين، وأن صفحة أخرى بدئت بقيام الدولة العباسية، هناك كبرى علاقة بني الأمة الإسلامية في عهدها الأول، أبعد ما يكون عن الصحة! وعلى الأخص من الناحيتين؛ فقد حدثت حوادث في صدر الإسلام، أخذت تعمل عملها منذ واستمر تأثيرها مع سقوط الأمويين، خذ لذلك مثلاً: تعاليم مؤثرة في البلاد المفتوحة ومتأثرة بها، في انتشار لغة العرب؛ فلم يكن قيام الدولة العباسية صفحة جديدة لهذين العاملين، ومن أوضح أمثلة على ذلك: عملية الامتزاج بين الأمم الفاتحة فقد بدأت من عهد عمر بن الخطاب، ووقفت وقفة صغرى لما أصاب الأمم ثم بدأت تخضع للنظم الاجتماعية؛ ثم ظهور جيل جديد يحمل الدم العربي والأجنبي معاً، ذلك خصائص الأمم المختلفة التي يتكون منها دمه، أو روحية. ويتعاقب في الدولة العباسية، وكان من نتائج هذا الامتزاج: أن كل جنس بدأ يتعلم من الأجناس الأخرى ما يشعر بأنها آخذة منه بحظ أوفر، حضارتهم، في العهد العباسي، كما كانت سائرة في العهد الأموي. حكمته الدولة العباسية؛ لظهر على يديها من الحركات العلمية والإصلاحات الاجتماعية؛ في آخرها أرقى منها في أولها، واعتنقه بعض الخلفاء الأمويين، وظهرت الكتابة الفنية، ولو كان اتساع الحركة العلمية لكان آخر الدولة الأموية يشبه أولها. ٢ (أن الأمويين أنفسهم ملا انتقلوا إلى الأندلس، العباسي الأول؛ هم وحضارتهم، واليونان، لاتينية. ومنه العلم، والأخذ بأوفر حظ من النظم الاجتماعية التي تليق بهم؛ ذلك بأن المملكة الإسلامية، ويسلمها طور إلى طور، وجاءت الدولة العباسية، فسارت في هذا الاتجاه، والخطأ كل الخطأ أن يفهم أنها أوجدته من عدم! الفارسي، ونقل العاصمة من الشام إلى العراق. الحركة العلمية والاجتماعية، ولو لم العباسية، لأتيحت لها فرص أخرى مختلفة الأشكال. والعراقيون كان يصح أن يستخدموا في الحركة العلمية (والعاصمة في الشام)؛ والحركة اللغوية تنمو وتقوى؛ بمثل أبي عمرو بن العلاء، ولم يكن نشاط تلاميذهم. الأموية في حكمها. وهذا ما سنحاول وصفه في الباب الآتي. وسنقتصر من وصف الحياة الاجتماعية،